شرح
مدخل لعلوم القرآن

الشيخ العلامة

أحمد بن عمر سالم بازمول

حفظه الله تعالى

ahmedbazmool-meerathnabawee.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحَمْدَ لِلّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَاشَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

وبعد :

سنتدارس في هذه الليلة - إن شاء الله تعالى - في مادة :

" علوم القرآن "

ما يتعلق بأول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن .

وهذا العلم ؛ علم أول ما نزل وآخر ما نزل يدل دلالة واضحة على اهتمام الصحابة -رضوان الله عليهم - أجمعين بكل ما يتعلق بالقرآن في أول ما نزل وآخر ما نزل ، في المكي في المدني إلى آخر ذلك ، وأيضًا يدل على عناية الله - عز وجل - بكلامه وكتابه الكريم ؛ وهذا مصداق لقوله تعالى : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ** ﴾[1] ، وهذا المبحث له فوائد ستأتي إن شاء الله تعالى .

اختلف العلماء في أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن ، طبعًا هنا ننبه سريعًا على أن الاختلاف قد يكون من باب اختلاف التنوع ؛ يعني قد يكون كل الكلام صحيح ،

---

1) سورة الحجر ، الآية : 9 .

ولكن عبّر أو أراد كل واحد منهم معنى معين كما سيأتينا إن شاء الله تعالى وبالتالي هذا الاختلاف ليس دليلا على عدم ضبط ما يتعلق بالقرآن ، وقد يكون اختلاف تضاد ؛ الاختلاف التضاد الذي لا يجتمعان في محل واحد إما هذا وإما هذا ، بخلاف التنوع يصح ، بخلاف اختلاف التنوع يصح .

ومن المهم في هذا المبحث وفي غيره من مباحث العلم ؛ إدراك العالم والمتعلم وطالب العلم معنى مهم ، ما هو هذا المعنى الذي يلوكه ؟

أن الكلام الوارد عن السلف الذي في ظاهره الاختلاف يمكن حمله على معاني متعددة أو على أحوال متعددة وبالتالي لا يكون هناك تناقض أبدًا كما سياتي - إن شاء الله - معنا

وهذا نجده أيضًا حتى في تفسير القرآن ، مثلًا : فنجد أن الصراط المستقيم ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ اختلفوا في معنى الصراط المستقيم ؛ فمنهم من قال : الإسلام ، ومنهم من قال : القرآن ، ومنهم من قال : محمد - صلى الله عليه وسلم - ، ومنهم من قال غير ذلك ، في الظاهر أنت أو القارئ يقول : ما هذا الاختلاف أي المعاني صحيحة ؟

لا ؛ كلها صحيحة ، فالصراط يشمل هذه الأمور ككل ؛ فهو طريق إلى الجنة ، وهو ما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وهو الذي في القرآن والسنة وهكذا ، فبالتالي يجب أن يعرف طالب العلم هذه الحقيقة ، ولا يجعل الأمر صعبًا ومتعسرًا ولا يمكن فهمه لأنه لا إشكال في هذه الأمور ، لا إشكال في هذه الأمور .

طيب ، الآن سنطبق هذا الكلام على ما سنتدارسه في هذه الليلة .

بادئ ذي بدء ؛ أن أول ما نزل من القرآن على الصحيح هو قوله تعالى :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿ 1 ﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿ 2 ﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿ 3 ﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿ 4 ﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿ 5 ﴾ ﴾ ؛ وهذا يعني كما هو معلوم في حديث عائشة -رضي الله عنها - حين قالت : **(أَوَّلُ ما بُدِئَ به رَسولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ في النَّوْمِ ؛ فكانَ لا يَرَى رُؤْيَا إلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ، فَكانَ يَأْتِي حِرَاءً فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ** - يتحنث بمعنى : يتعبد - ، قالت : **ويَتَزَوَّدُ لذلكَ ، ثُمَّ يَرْجِعُ إلى خَدِيجَةَ -رضي الله عنها - فَتُزَوِّدُهُ لِمِثْلِهَا ، حتَّى فَاجَأَهُ الحَقُّ وهو في غَارِ حِرَاءٍ)**[2] **(فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فِيهِ جِبْرِيل** - أي جبريل - **فَقَالَ : اقْرَأْ - ،** قَالَ لِلنَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - : اقْرَأْ ، **فَقَالَ - صلى الله عليه وسلم - : مَا أَنَا بِقَارِئ ، فَقَالَ لِلنَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - : اقْرَأْ ، فَقَالَ - صلى الله عليه وسلم - : مَا أَنَا بِقَارِئ) .**

(مَا أَنَا بِقَارِئ) : تحمل بمعنى : لا أحسن القراءة ؛ أي لا أعرف القراءة ، أو

(مَا أَنَا بِقَارِئ) : ما الذي أقرأه ؟

لأنه ما كان في شيء يقرأه ؛ لا صحف ولا شيء .

قَالَ : فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهد - يعني : ضمني ضمًا شديدًا - **ثُمَّ أَرْسَلَنِي ، فَقَالَ : اقْرَأْ ، فَقُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئ ، قَالَ : فَغَطَّنِي الثَّانِيَة حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : اقْرَأْ ، فَقُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿ 1 ﴾ حَتَّى بَلَغَ : ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿ 5 ﴾)** إلى آخر القصة لما رجع النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى خديجة .

فهذا الحديث واضح الدلالة في كون هذه الآيات هي أول ما نزل على النبي - صلى الله عليه وسلم - صدر سورة العلق .

---

2) رواه البخاري (4671) | ومسلم (160) .

القول الثاني : إن أول ما نزل هو قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿ 1 ﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿ 2 ﴾[3] ، طيب ؛ **ما دليله ؟**

دليله : ما رواه أبو سلمة قال : سَأَلْتُ جَابِرَ بنَ عَبْدِ الله -رضي الله عنهما - أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ قَبْلُ ؟

- يعني إيش اللي نزل قبل ؟

بمعنى أول - **فَقَالَ جَابِرُ -رضي الله عنه - : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿ 1 ﴾ ، قُلْتُ : أَوْ " اقْرَأْ " ؟**

قال : أُحَدِّثُكُمْ مَا حَدَّثَنَا بِهِ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم - : (إِنِّي جَاوَرْتُ بِحِرَاءَ فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي نَزَلْتُ فَاسْتَبْطَنْتُ الْوَادِي ، فَنَظَرْتُ أَمَامِي ، وَخَلْفِي ، وَعَنْ يَمِينِي ، وَعَنْ شِمَالِي ، ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا هُوَ - يعني جبريل - **فَأَخَذَتْنِي رَجْفَة ، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَأَمَرْتُهُمْ فَدَثَّرُونِي** - يعني : غطوني باللحاف ونحوه - **، فَأَنْزَلَ الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿ 1 ﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿ 2 ﴾)**[4] ، طيب .

الآن جابر -رضي الله عنه - سأل : ما الذي أنزل أول ؟

قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿ 1 ﴾ ، قيل له : **" اقرأ "** ، قال : لا ؛ هذا الذي - يعني - ما أخبر به الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

طيب ؛ أجيب عن حديث جابر بعدة أجوبة :

---

3) سورة المدثر ، الآيتان : 1 - 2 .

4) عن جابر بن عبدالله : سَأَلْتُ أبا سَلَمَةَ : أيُّ القُرْآنِ أُنْزِلَ قَبْلُ ؟ قالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿ 1 ﴾ ، فَقُلْتُ : أوِ " اقْرَأْ " ؟ فقالَ : سَأَلْتُ جابِرَ بنَ عبدِ اللهِ : أيُّ القُرْآنِ أُنْزِلَ قَبْلُ ؟ قالَ: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿ 1 ﴾ ، فَقُلْتُ : أوِ " اقْرَأْ "؟ قالَ جابِرٌ : أُحَدِّثُكُمْ ما حَدَّثَنا رَسولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - ، قالَ : جاوَرْتُ بحِراءٍ شَهْرًا ، فَلَمّا قَضَيْتُ جِوارِي نَزَلْتُ فاسْتَبْطَنْتُ بَطْنَ الوادِي ، فَنُودِيتُ فَنَظَرْتُ أمامِي وخَلْفِي ، وعَنْ يَمِينِي ، وعَنْ شِمالِي ، فَلَمْ أرَ أحَدًا ، ثُمَّ نُودِيتُ فَنَظَرْتُ فَلَمْ أرَ أحَدًا ، ثُمَّ نُودِيتُ فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فإذا هو على العَرْشِ في الهَواءِ ، يَعْنِي جِبْرِيلَ - عليه السَّلامُ - ، فأخَذَتْنِي رَجْفَةٌ شَدِيدَةٌ ، فأتَيْتُ خَدِيجَةَ ، فَقُلْتُ : دَثِّرُونِي ، فَدَثَّرُونِي ، فَصَبُّوا عَلَيَّ ماءً ، فأنْزَلَ اللَّهُ - عزَّ وجلَّ - : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿ 1 ﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿ 2 ﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿ 3 ﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿ 4 ﴾ ﴾ [المدثر : 1 - 4].

أفضلها ؛ أن نعم ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿ 1 ﴾** هي أول ما نزل ؛ لكن مقيدًا لما انقطع الوحي وفتر ؛ يعني تأخر نزوله أبطأ ، فكان أول ما نزل بعد تأخر نزول الوحي سورة " **اقرأ** " فليست أولية مطلقة ؛ الأولية المطلقة

﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿ 1 ﴾**

جواب آخر ، قالوا : أول سورة اكتملت ونزلت بكاملها : سورة ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿ 1 ﴾** ، لأن سورة العلق لم تنزل كاملة ؛ إنما نزلت الخمس الآيات الأولى ، مما يدل على أن مراد جابر أول ما نزل أو أن ما جاء في الحديث المراد به أول ما نزل بعد انقطاع الوحي ما جاء أيضًا عن أبي سلمة قال : عن جابر -رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه - فترة الوحي أي تأخره وبطئه وانقطاعه مدة من الزمن - ، ثم ذكر أنه رأى جبريل وأنزل عليه ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿ 1 ﴾**) .

لأن أيضًا في الرواية نفسها يقول الرسول - صلى الله عليه و سلم - : (**فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فإذا المَلَكُ الذي جاءَنِي بحِراءٍ**)[5] ، إذا جاءه من قبل ، ومن قبل نزل عليه بـ " **اقرأ** " ، فإذا الآن السؤال يطرح : رواية عائشة ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿ 1 ﴾** ، ورواية جابر : ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿ 1 ﴾** نحن نقول كلاهما صحيح ؛ ولكن " **اقرأ** " أول ما نزل من القرآن على الإطلاق ، و﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿ 1 ﴾** أول ما نزل من القرآن بعد انقطاع الوحي ؛ وهذا واضح جدًا ، طيب .

وقيل : إن أول ما نزل سورة " **الفاتحة** " ، قال بعض أهل العلم جوابًا عن ذلك : لعل المراد أول ما نزل كاملًا ؛ سورة كاملة .

---

[5]) صحيح البخاري : 4925 .

وقيل : أول ما نزل **" بسم الله الرحمن الرحيم "** ، لكن الأحاديث الواردة في ذلك ضعيفة .

وقيل : أول ما نزل غير ما سبق ، أو خلينا نقول الآن توجيه لبعض العلماء في أولية **" اقرأ "** وأولية **" المدثر "** ، فقالوا :

أول ما نزل مما يتعلق **بالرسالة والنَّذارة** ، هي قوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿ 1 ﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿ 2 ﴾** ﴾[6] .

وأول ما نزل في **النبوة** أنه نبي ، قوله تعالى : ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿ 1 ﴾** ﴾[7] .

إذا الخلاصة من هذا أن أول ما نزل من القرآن على الإطلاق ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿ 1 ﴾** ﴾ ، وأول ما نزل من القرآن بعد انقطاع الوحي ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿ 1 ﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿ 2 ﴾** .

و**" اقرأ "** فيها إثبات نبوة النبي - صلى الله عليه وسلم - فهي أول ما نزل بالنبوة ، و﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿ 1 ﴾** فيها إثبات الرسالة للنبي فهي أول ما نزل على النبي - صلى الله عليه وسلم - مما يتعلق بالرسالة والنذارة ﴿ **قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿ 2 ﴾** ، طيب .

آخر ما نزل من القرآن اختلف العلماء أيضًا في آخر ما نزل من القرآن ، فقيل :

آية **" الربا "** لما في البخاري عن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال : **(آخر آية نزلت آية الربا ؛ وهي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾**[8] ، وقال بعض أهل العلم قول آخر : إن آخر ما نزل من القرآن قوله :

---

6) سورة المدثر ، الآيتان : 1 - 2 .
7) سورة العلق ، الآية : 1 .
8) سورة البقرة ، الآية : 278 .

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾[9]) ، كما جاء عن ابن عباس أنه قال : (آخر شيء نزل من القرآن ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾)[10] .

وقيل : آخر مع نزل آية " الدين" ، وهذا جاء عن سعيد بن المسيب أنه بلغه أنه : (أَنَّ أَحْدَثَ الْقُرْآنِ عَهْدًا بِالْعَرْشِ آيَةُ الدَّيْنِ)[11] أحدث القرآن عهدًا بالعرش :

يعني آخر شيء ، قال : آية " الدين" ؛ والمراد بها قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ ﴾[12] الآية بطولها .

طيب ، الآن كم رواية عندنا ؟

ثلاثة روايات ، وثلاثة أقوال ؛ القول الأول : آية " الربا " آخر ما نزل ، القول الثاني : قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ هي آخر ما نزل ، والقول الثالث : آية " الدين " هي آخر ما نزل .

لو لاحظنا أن هذه الآيات الثلاث هي في سورة البقرة ؛ وهي مرتبةً آية " الربا " ثم ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا ﴾ ، ثم آية " الدَّين " .

فعلى هذا كل الأقوال صحيحة ؛ ولكن بعضهم أخبر بآية ، والآخر بآيةٍ أخرى ، والثالث بآيةٍ ثالثة ؛ لأنّ الآيات الثلاث نزلت مع بعضها في قصةٍ واحدة .

فبتالي هذه الأقوال الثلاث في الحقيقة ليس بينها اختلاف ؛ لأنها ذُكِرت باعتبار ذِكرُها في القرآن ، واعتبار نزولها مرةً واحدة ؛ دُفعةً واحدة الثلاث ، فهذا ذكر هذه الآية ، وهذا ذكر هذه الآية ، وهذا ذكر هذه الآية ، فَذَكَرَ الجزء ، وأراد الكُل .

---

9) سورة البقرة ، الآية : 281 .
10) تفسير ابن كثير .
11) (أنَّ أحدَثَ القرآنِ بالعرشِ آيةُ الدَّينِ) .
الراوي : سعيد بن المسيب ، المحدث : أحمد شاكر | المصدر : عمدة التفسير | الجزء أو الصفحة : (1 / 338) | حكم المحدث : إسناده إلى سعيد بن المسيب صحيح ، ولكنه حديث مرسل .
12) سورة البقرة ، الآية : 282 .

طيب ، انتهينا من هذه الأقوال الثلاثة في آخر مانزل .

وقيل : آخر مانزل من القرآن آية **" الكَلالة "** ، لِمَا في الصحيحين عن البراء بن عازب -رضي الله عنه - قال : **(آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الكَلَالَةِ ﴾[13])** الآية .

طيب ، الآن هذا حديثٌ صحيح ، والآيات الثلاث في سورة البقرة ، وهذه في سورة ، في سورة النساء ، طيب .

كيف نُجيب عن هذا ؟

الجواب عن هذا سهلٌ جدًا ؛ أن نقول :

كلام البراء -رضي الله عنه - صحيح ؛ فآخر ما نزل من القرآن مِمّا يتعلق بالمواريث ؛ آية **" الكَلالة "** ، آية **" الكَلالة ".**

فلاحظنا هنا أننا إذا نظرنا إلى القول ، وفَهِمَنا ما يتعلق به ؛ فَهِمَنا المراد ؛ وبالتالي لا يكون هناك اختلاف أو تَضَادّ .

فآية **" الكَلالة "** ؛ هي آخر آية في سورة النساء ، وهي آخر آية نزل من القرآن ممّا يتعلق بالمواريث ، وبالتالي لا يكون بين القولين تضادٌّ ، أو اختلاف .

وقولٌ آخر يقول : إنّ آخر آية نزلت هي ؛ قوله تعالى **﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾**[14] إلى آخر السورة .

---

13) الراوي : البراء بن عازب | المحدث : البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الجزء أو الصفحة : 4654 | حكم المحدث : صحيح .

14) سورة التوبة ، الآية : 128 .

كما قاله أبي بن كعب -رضي الله عنه - أنّه قال : **(آخر آية نزلت : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾[15]) .**

طيب ، **كيف نجمع بين هذا وبين ما سبق ؟**

قالوا : هذا محمول على أنها آخر آية نزلت من سورة **براءة** ؛ سورة **التوبة** ، براءة .

وهذا جاء عن أُبي -رضي الله عنه -صريحًا في رواية في **" المستدرك للحاكم "** أنه قال -رضي الله عنه - حين ذكر هاتين الآيتين من آخر سورة التوبة ، حيث قال - رضي الله عنه - فيما رواه **عبد الله بن الإمام أحمد** في **" زوائد المسند "** قال : " إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أقرأه هاتين الآيتين : **﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾** ، إلى قوله : **﴿ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾**[16] في آخر سورة براءة ؛ فدل هذا على أنها من آخر ما أُنزل على النبي - صلى الله عليه وسلم - مما يتعلق بسورة **" التوبة "** .

وقيل : آخر ما نزل **" سورة المائدة "** لما في **" المسترك للحاكم "** و**" السنن "** للترمذي من حديث عائشة -رضي الله عنها - ؛ قال أهل العلم جوابًا عن ذلك : " نعم ، إن سورة **" المائدة "** هي آخر ما نزل من القرآن مما يتعلق بالحلال والحرام ، فلم تُنسخ الأحكام التي فيها " .

وهناك أقوال أخرى ذكرت لكم بعضها ؛ كقول ابن عباس -رضي الله عنه عنهما - في صحيح مسلم : **" آخر سورة نزلت : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿ 1 ﴾ ﴾**[17] ، قال العلماء : " هذا محمول على أن هذه السورة هي آخر ما نزل على النبي -

---

15) الراوي : أبي بن كعب | المحدث : ابن كثير | المصدر : تفسير القرآن | الجزء أو الصفحة : (4 / 180) | حكم المحدث : غريب .

16) سورة التوبة ، الآية : 129 .

17) سورة النصر ، الآية : 1.

صلى الله عليه وسلم - مشعرًا بوفاته - صلى الله عليه وسلم - كما فهم ذلك ابن عباس وعمر وغيرهما .

فالقرآن نزل فيه ما يشعر بوفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - ؛ كقوله تعالى :

﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ 30 ﴾** [18] ، وقوله تعالى : ﴿ **فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴾ 7 ﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿8 ﴾** [19] ، ﴿ **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾** [20] ، فكانت سورة " **النصر** " هي آخر ما يتعلق بوفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - .

إذا نلحظ هنا أن أول ما نزل على الإطلاق : ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿ 1 ﴾** ، وآخر ما نزل : هي الثلاث الآيات من سورة البقرة آية " **الربا** " ، وقوله : ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾** ، وآية " **الدين** " ؛ وأنما ورد من الأولية في بعض السور والآخرية في بعض السور محمول على أولية مقيدة بشيء ما ، وبالتالي لما تقف على قول تتأمله فتجد أنه كان متعلق بشيء ما مما يتعلق بنزول القرآن .

طيب ؛ هناك أوليات أيضًا في القرآن متعلقة بموضوعات معينة ، فمثلًا قالوا :

أول ما نزل في **الأطعمة** ما جاء في سورة " **الأنعام** " :

﴿ **قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾** [21] .

ثم آية " **النحل** " : ﴿ **فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾** [22] .

---

[18]) سورة الزمر.
[19]) سورة الشرح .
[20]) سورة الحجر ، الآية 99 .
[21]) سورة الأنعام ، الآية : 145 .
[22]) سورة النحل ، الآية : 144 .

قالوا : ثم آية " **البقرة** " : ﴿ **إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ** ﴾[23] .

قالوا : ثم آية " **المائدة** " .

قالوا : وأول ما نزل في **الأشربة** قوله تعالى في سورة " **البقرة** " :

﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا** ﴾[24] ؛ فهذه أولية متعلقة بالأشربة .

وقالوا : أول ما نزل في " **القتال** " قوله تعالى كما جاء عن ابن عباس :

﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿ 39 ﴾** ﴾[25] .

إذًا ؛ هذه كما سبق أولوية موضوعية ؛ بمعنى باعتبار موضوعات معينة ؛ في الأطعمة ، في الأشربة ، في القتال .

هنا يأتي السؤال : ما فائدة هذا المبحث ؟

يعني ؛ لماذا ذكر الصحابة والتابعون وتناقله العلماء ما يتعلق بأول ما نزل وآخر ما نزل ؟

قالوا : هذا يدل :

أولًا : على عناية الصحابة -رضوان الله عليهم - بالقرآن عنايةً تامّةً فائقة وضبط كل ما يتعلق به .

ثانيًا : من خلال معرفة الأول والأخير يمكن إدراك شيءٍ من أسرار التشريع الإسلامي .

---

[23]) سورة البقرة ، الآية : **173** .

[24]) سورة البقرة ، الآية : **219** .

[25]) سورة الحج .

كذلك : معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل ؛ قد يفيد في معرفة الناسخ والمنسوخ ، قد يفيد في معرفة الناسخ والمنسوخ ؛ ولذلك استُدِل على أن " المسح على الخفين " غير منسوخ بأن سورة **المائدة** والآيات التي متعلقة **بالوضوء** هي من آخر ما نزل .

إذًا ؛ بهذا القدر نكون قد انتهينا من هذا الموضوع ؛ أعني معرفة ما يتعلق بأول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل ، وعرفنا أنه - إن شاء الله - لا تناقض بين هذه الأقوال ويمكن حملها على معاني مخصوصة .

وفي هذا القدر كفاية .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
والحمد لله ربِّ العالمين .

فريق صيانة السلفي للتفريغات
معهد الميراث النبوي